دار التوحيد
لتحفيظ القرآن الكريم

أسباب شرح الصدور

جمع وإعداد:
أ- نجلاء السبيِّل

للاستفسار:
٠٥٤٠٧٠٢٠٠١ ، ٠٢٢٦١٩٥٦٤

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ (١) وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ (٢) الَّذِي أَنقَضَ ظَهْرَكَ (٣) وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ (٤) فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا (٥) إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا (٦) فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ (٧) وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَب (٨) ﴾[1]

صدق الله العظيم

[1] سورة الشرح

رب اشرح لي صدري

ويسِّر لي أمري

واحلُل عقدةً من لساني

يفقهوا قولي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والإسلام على رسول الله وبعده. . .

قارئي الكريم. . . .

هذا الإصدار هو تعليق على فصل أورده الإمام ابن القيم رحمه الله ،في كتابه زاد المعاد ، المجلد الثاني. قمت بجمعه وإعداده ثم ألقيته في محاضرتين في شهر ذي القعده من عام ١٤٣٣هـ في مدرسة دار التوحيد لتحفيظ القرآن الكريم بجده ، وهاهو الآن بين يديك كتبته على عجل ، طعماً أن يوزع هذا الإصدار في هذه العشر المباركات – عشر ذي الحجة – لعله أن يقع بين يدي أحد الحجاج وهو في أطهر بقعه على وجه الأرض، فتلامس الكلمات قبله ، وتكون سبباً في انشراح صدره، و جلاء حزنه، فأظفر منه بدعوة في ظهر الغيب، قد يكتب الله لي بها نجاةً وسعادةً في الدارين .

شرح الله صدري وصدوركم، وجمع الله لي ولكم الخير من جميع أطرافه

بسم الله الرحمن الرحيم

لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم

مقدمة:

القبض والبسط أمران يتعاقبان على النفس، فالنفس تارةً تشهد تجلّيات القبض، وتارةً تشهد تجلّيات البسط.

بمعنى أنك قد تجد الإنسان أحياناً سعيداً مرتاحاً، متفائلاً وهادئاً، مسروراً، منطلقاً يشعر براحة إيمانية، يشعر بشيء من الطمأنينة، فهذا هو من البسط.

وأحياناً تجده متضايقاً ثقيل النفس وكأنه محبوس أو محصور داخل نفسه، يتنفس من ثقب إبرة، تعتريه وتُخيِّم عليه حالة من الهم والغم والكآبة، فهذا هو القبض.

وأصل القبض في اللغة: ضم الشيء المنبسط من أطرافه، فهو التقتير والتضييق[1].

وأصل البسط: النشر والسعة، فالبسط نقيض القبض[2].

والله هو القابض الباسط سبحانه وبحمده. قال تعالى ﴿وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [البقرة:٢٤٥].

وقال تعالى ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة:٦٤]، وقال سبحانه ﴿ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾ [الرعد:٢٦].

وقال ﷺ: "**إن الله هو الخالق القابض الباسط الرزّاق المسعِّر وإني لأرجو أن ألقى الله ولا يطلبني أحدٌ بمظلمة ظلمتها إياه في دمٍ ولا مال**"[3].

وقوله عليه الصلاة والسلام أيضاً: "**يقبضُ اللهُ الأرضَ يوم القيامة ويطوي السماء بيمينه.... الحديث**".

وقال ابن القيم في النونية:

هو قابضٌ هو باسطٌ هو خافضٌ هو رافعٌ بالعدل والميزان[4]

فالله يبسط ويوسِّع وينشر بره ومعروفه على من يشاء من عباده فيبسط القلوب والألسنة والأرزاق وسائر الأسباب، ويقبض ويضيِّق ويقتر على من يشاء من عباده، فإذا قبض الله الأرزاق قلّت، وإذا

---

[1] النهج الأسمى (١٢٤/٣)
[2] النهج الأسمى (١٢٤/٣)
[3] أخرجه احمد (٢٨٦/٣،١٥٦) صحيح
[4] النونية (٢٣٦/٢) بشرح أحمد عيسى

قبض العافية ذهبت، وإذا قبض العقول أُغلِقت، وإذا قبض الأعمار انتهت، وإذا قبض القلوب ضاقت. وبالعموم من قُبِض رزقه فقد ضُيِّق عليه ومن بُسِط رزقه فقد فُسِح له ووسِّع عليه.

وأصعب القبض هو قبض القلوب، فالله إذا قبض القلوب ضيّقها، تصبح ضيقة حرجة موحشة، منافذها مسدودة وشُعَبَها مسدودة وكل شيء فيها مسدوداً. وإذا تأملت في حال هذا الذي قبض الله قلبه لوجدته في معاناة، معاناة مع نفسه ومعاناة مع زوجته وأولاده، معاناة في تعامله مع الناس بل حتى في أخلاقه وعبادته!! وضيق القلوب أصعب من ضيق المكان فكأنه في أصعب سجن وأضيقه.

وفي المقابل أعظم البسط هو بسط القلوب، اتساعها وانفساحها وانشراحها وكأن هذه القلوب قد كُسِرت أقفالها ومغاليقها وانجلى الصدأ عنها.

قال تعالى: ﴿ **أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِنْ رَبِّهِ**﴾ [الزمر:٢٢]. قيل يا رسول الله وما هذا الشرح؟ فقال عليه الصلاة والسلام: "**نورٌ يقذفه الله في القلب فينفتح القلب**"[1].

إذاً من شرح الله صدره وسّعَه ونوَّره وليَّنه وجعله فسيحاً رحباً متسعاً منيراً، وكلما عَظُم النور زاد اتساع القلب وانفساحه وانشراحه. ولو جمعت مصابيح الدنيا كلها كبيرها وصغيرها لن تستطيع أن تنير قلبك لأن هذا النور مصدره واحد وطريقه واحد وهو أن يقذفه الله في قلبك ﴿**وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ**﴾ [النور:٤٠].

ومن كرامة العبد على ربه أن يضيء قلبه بهذا النور، ورسول الله ﷺ كان يطلب ربه النور فيقول "**اللهم اجعل في قلبي نوراً...**"، واستنارة القلب وإشراقه هي الغاية التي يحصّل بها العبد سعادة الدنيا والآخرة.

وهذا القبض والبسط هو حسب حكمة الله وعلمه وعدله، قال تعالى ﴿**وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَٰكِنْ يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَا يَشَاءُ ۚ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ**﴾ [الشورى:٢٧].

فالله هو الحكيم الذي يضع كل شيء في موضعه، وهو العليم الذي يعامل عباده بحسب علمه فيهم، فالله لا يظلم أحداً من خلقه، حكَمٌ عدلٌ جل جلاله مُنَزَّه عن كل عيب وعن كل نقص وعن كل ظلم. إن استحق العباد البسط بَسَط لهم وإن استحقوا القبض ضيَّق عليهم.

فإذا شعرت بحرجٍ في صدرك، والحرج هو أضيق الضيق، أو رأيت ضِيقاً في رزقك سواء في أرزاق الدنيا أو الآخرة فاعلم أن الله قد ضيّق عليك لأنك تستحق التضييق والتقتير، علّتُك منك، وداؤك منك.

[1] الطبري من طريقين عن عبد الله بن مسعود وكلاهما ضعيف (ولكن معناه صحيح).

- ربما عصيت فضيّق الله عليك بسبب معصيتك.
- ربما ضيّعت حقاً من حقوق الخلق (حق الوالدين، أو الزوج أو الأبناء أو الرحم...) فضُيِّق عليك.

هذه الحقوق شأنها عظيم كلها أمانات، ومن ضيّع هذه الأمانات نُكَّد عليه في عيشه وتكدّرت حياته، هذه الحقوق هي امتحانٌ كبير في هذه الدنيا منا من ينجح ومنا من يرسب، وللأسف كثيرٌ منّا يرسب في هذا الامتحان!!

- وربما أن التضييق الذي ابتُليت به يكون بسبب تضييقك أنت على الناس، فمن ضيّق ضيَّق الله عليه، الجزاء من جنس العمل، ومن أساء سيرى عاقبة سيئته على نفسه وما سميت السيئة بالسيئة إلا لأنها تسوء صاحبها، فأحياناً قد تجرح مشاعر إنسان أمامك بكلمة، بنظرة، برفع صوت، بتهميش أو باحتقار، فيسوؤه ذلك، فتجد أثرها في قلبك مباشرة، لذلك كان النبي ﷺ طيباً في كلامه وكان حريصاً على هذا الطيب فكان لا يؤذي ولا يجرح أحداً بأبي هو وأمي عليه أفضل الصلاة والسلام.

نعمة شرح الصدر:

إن من أكبر نعم الله على العبد أن يشرح صدره وخاصةً في هذا الزمان الذي انتشرت فيه الاضطرابات والإكتئابات والإنتحارات والحروب والكوارث، وكثرت الأسحار والمظالم والديون والإنفصالات، وانتشرت بل وامتلأت العيادات النفسية بالمرضى، فإذا شرح الله صدرك وسط كل هذا الضجيج وهذه الأحداث فاعلم أنك مرزوق.

فشرح الصدر من أعظم أرزاق القلوب، هو الحياة الطيبة التي وُعِد بها المؤمن ﴿**مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾ [النحل:٩٧] وهو السعادة الحقيقية التي يبحث عنها. ولقد امتنَّ الله على نبيه ﷺ بنعمة شرح الصدر فقال له: ﴿ **أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ** ﴾ [الشرح:١].

ألم نفتح ونوسع ونلين لك قلبك بالإيمان والنبوة والعلم والوحي والحكمة؟؟

لما اختار الله نبيه ﷺ حتى ينزّل القرآن على قلبه ويبلغ دينه وشريعته هيّأه بهذا الشرح فشرح صدره شرحاً حسياً ومعنوياً.

أما الشرح الحسي: فقد وقع مرتين، الأولى وهو مسترضعٌ في بادية بني سعد، والثانية قبل رحلة الإسراء والمعراج حتى يُهيّأ للصعود إلى الملكوت الأعلى. وفي كلا المرتين يُشقُ صدره ويُستخرج قلبه عليه الصلاة والسلام ويُغسل بماء زمزم ثم يُرد إلى مكانه.

أما الشرح المعنوي: فقد شرح الله صدره بالإيمان والعلم والقرآن فكان يتحمل ما لا يتحمله الناس.

أُوذي في نفسه وقالوا عنه مجنون وساحر وكاهن، وكذاب وبه رئيٌ من الجن.... وتحمّل ، وأُوذي في عرضه وقالوا عن زوجته وأحبّ الناس إلى قلبه عائشة رضي الله عنها ما قالوا في حادثة الإفك وتحمّل.

أُوذي في صحابته فكانوا يُقتَّلون ويُعذَّبون ويُخرَجون من بيوتهم وأموالهم وتحمّل.

تحمّل غلظة الأعراب وشدّتهم وجفائهم، وتحمّل المنافقين ومؤامراتهم ودسائسهم وكيدهم.

تحمّل أهل الكتاب وجدالهم وتعنّتهم، وما هذا إلا لأن الله شرح صدره. فإذا شرح الله الصدر انفتح وانفسح واتّسع وتحمل جميع المهمات.

ينقل لنا العلامة ابن السعدي رحمه الله في كتابه المواهب الربانية صورة ما هي إلا نموذجاً لمن شرح الله صدره فيقول: "بأنه قد يرد على الإنسان الواردات الكثيرة والأشغال المتنوعة الداخلية والخارجة التي لو قُسمت على أمةٍ لعجزوا عنها ثم يمُنّ الله عليه بصدرٍ متسع، وقلب منشرح فلا ينزعج من كثرتها، وتفاوتها، وتعددها، فقد أعانه الله عليها ولطَف به فيها، ولطَف له في تسهيل أسبابها وطرائقها"[1].

ومن كلام الشيخ أبو بكر الجزائري حفظه الله وهو يفسر سورة الشرح "تسجيل صوتي" قال: "الصدر صدر فإذا شرحه الله تحمّل مالا يتحمله الملايين من الناس"، ثم شبهه كالبالون إذا نفخته انظر كيف يتسع وينفسح ويكبر ويتمدد، فقال "هكذا الشرح".

- **أهل التدبر يقولون عن سورة الشرح[2]:**

يكفيك من هذه السورة اسمها "الشرح".

فهي سورة توجّه لكل مهموم، ولكل مغموم، ولكل متضايق، عليك بسورة الشرح. اقرأها وافهم معانيها ورددها واسأل ربك أن يشرح صدرك.

---

[1] المواهب الربانية صـ ١٢٥ بتصرف

[2] د/ محمد الربيعة في تفسيره لسورة الشرح (موقع البث الإسلامي)

علامات شرح الصدر:

١- أن من شرح الله صدره تجده واسع التحمل فهو يتحمل ما يعجز عنه كثيرٌ من الناس.

٢- من شرح الله صدره تجده على نور، وتجده على خير وهدى، تجده قوياً في صبره، قوياً في عزمه، قوياً في تفاؤله وانتظاره للفرج. مهما تعثّر ومهما واجه من عوائق ومكدرات فإنه لا ينكسر، فهو يثقُ برحمة الله، ويمشي برحمة الله، ويعلم أن الله وحده هو الذي يملك هذه الرحمة، فإذا فتحها له فلن يملك أحد من البشر أن يُغلق عليه باباً فتحه الله له.

٣- من شرح الله صدره تجده محباً للخير، محباً لنفع الناس، محباً للدعوة، محباً لنشر الدين ولبذل نفسه في أي مجال من مجالات الخير.

٤- من شرح الله صدره تجده منطلقاً كالخيل المسرعة في كل شيء حتى في عبادته، فهو يُقبل على ربه بدون نصب ولا سآمة ولا تعب، وإن أصابه فتور أو ضعف فرقدته خفيفة لا تطول، فإذا وقع سرعان ما يعود.

وعلى هذا فإن نعمة شرح الصدر من أكبر النعم بل هي من النعيم الدنيوي المُعَجَّل، هي السعادة الحقيقية التي يتنفس بها القلب.

نسأل الله أن يشرح صدورنا جميعاً

أسباب انشراح الصدر:

أوردها الإمام ابن القيم رحمه الله في كتابه "زاد المعاد"- المجلد الثاني بعنوان (فصل في أسباب شرح الصدور) فقال:

* "فأعظم أسباب شرح الصدر: **التوحيد وعلى حسب كماله وقوته وزيادته يكون انشراح صدر صاحبه**".

الكلام عن التوحيد وثمراته ومتعته وبركته على أصحابه كلامٌ يطول ونحتاج فيه إلى دروس ومحاضرات ولكني سأشير إلى أربع نقاط تفهم بها ما **العلاقة بين التوحيد وانشراح الصدر.**

أولاً: من أهم ما يغرسه التوحيد في قلبك ويربيك عليه أن تعرف أنه [لا سعيد إلا من أسعده الله].

الله هو الذي أضحك وأبكى، والله هو الذي أسعد وأشقى، والله هو الذي أغنى وأقنى. فالسعادة ليست بالزوج ولا بالأولاد ولا بالأهل ولا بالأصدقاء ولا بالأموال ولا بالسفريات ولا بالرفاهية والقصور

والبيوت، وإنما السعادة كل السعادة في اتصالك بالله، وتعلُّق قلبك بالله، ومعاملتك مع الله، وأن تدرّب نفسك على كثرة طرق باب الله حتى يبقى الحبل ممدوداً بينك وبين الله، هذه هي السعادة الحقيقية...

ومن لم يجعل لله مكاناً في قلبه فلن يكون للسعادة في قلبه مكان. فهذا من أسول المفاهيم التي يؤسسها ويغرسها التوحيد في قلبك.

ثانياً: التوحيد يعلمك كيف تستقبل الأقدار والمصائب والفواجع والفقد بكلمة [إنا لله وإنا إليه راجعون]، وتصبح هذه الكلمة يقيناً راسخاً في قلبك.

إنا لله: أي نحن ملكٌ لله بل وكل شيء نملكه لله، الحياة لله، المال لله، الأولاد لله، الزوج لله، الأم والأب لله، القلب لله، الأعضاء لله...

فلو فقدت الدنيا كلها فلله ما أعطى ولله ما أخذ، وفي الله عوضٌ عن كل فائت. وليس هناك عطية أفضل ممن يستغني بالله عن كل شيء، فمن استغنى بالله جبر الله كسره، وأصلح أمره، ونفّس عنه همه وغمه وضيقه وكربه.

فقدت بنتاً... فقدت ولداً.. فقدت أماً... فقدت أباً... فقدت مالاً.. **في الله عِوضٌ عن كل هؤلاء.** الله هو الذي أعطى والله هو الذي أخذ، والله هو الذي منح والله هو الذي حرم، وما عند الله خيرٌ وأبقى.

هذا الإذعان وهذا التسليم وهذا الرضا وهذا الإيمان بالقضاء والقدر هو الذي يوسع الصدر ويوسع القلب

يوسعُ الضيقَ الرضا بالضيقِ وإنما الرضا من التوفيقِ

فمن علامة توفيق الله للعبد أن يرزقه الرضا ويصب في قلبه الرضا فتهون عليه الأقدار وتتوسع عنده المضايق، ومن كان الله معه وكان الله في قلبه فلن يضيقَ عليه قلب ولن يضيق عليه درب.

ثالثاً: التوحيد يعلمك أن أمور الدنيا سهلة.

قد يطلب الإنسان أمر من أمور الدنيا زوج، ذرية، وظيفة، دراسة، مسكن، تجارة... ويسعى ويجتهد ويبذل الأسباب حتى يحصّل مراده ولكن الله يصرفه عنه، ومهما حاول أن يطرق الأبواب فإنها لا تُفتح ولا تتيسر فيصيبه الإحباط والاكتئاب ويأس ويُطبق الغم على صدره إطباقاً، ويرى أنه لا أحد مصاب في الدنيا بمثل مصيبته.

كل هذا من تلاعب الشيطان به ومن مكره وخداعه حيث يهوِّل له الأمر ويكبِّره ويضخّمه فينشغل به ويعطيه أكثر مما يستحق، بل قد يصرفه عن كثير من عبادته ونوافله وعلمه ودروسه، فيقدِّم هموم

الدنيا على الآخرة، وينسى أنه يدعو ويقول (**اللهم لا تجعل الدنيا أكبر همي**) وأمور الدنيا سهلة إن أقبلت وإن أدبرت، المهم أمر الآخرة وأن لا تكون المصيبة في ديننا.

– نعم لكَ أن تبكي ويضيق صدرك وتضيق عليك الأرض بما رحبت إذا شعرت أنك محبوس عن طاعة الله وأن إيمانك قد نقص، وأن نوافلك وعبادتك قد نقصت، وأن قيامك بالليل وبكاؤك وخشوعك قد نقص.

– تبكي ويضيق صدرك إذا ضاعت منك صلاة الفجر ويمر عليك اليوم واليومين والثلاث وأنت لم تصلي الفجر.. والله يقول ﴿ **إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا**﴾ [الإسراء:٨٧].

– تبكي ويضيق صدرك إذا ضاع منك القرآن وتفلّت وأصبح ثقيلاً عليك ولا تستطيع أن تفرغ ساعة من وقتك له.

– تبكي ويضيق صدرك على سقطات لسانك وتفلّت عزائمك وأنت ترى العمر يمضي والأيام تمضي وهناك أناسٌ شمّروا ونافسوا وسابقوا وأنت في مكانك كما أنت.. عندها يحق لك أن تضيق وتهتمَ وينحبس صدرك، أما الدنيا وهمومها وغمومها وأكدارها وأحزانها وأشجانها وكل ما فيها هي أحقر وأصغر من أن تصرفك أو تشغلك أو تسيطر عليك وتقطعك. ثم اعلم أنه ليس في الدنيا سرورٌ كامل، فمهما رأى الإنسان من بهجة الدنيا وسرورها وفرحها إلا ويجعل الله فيه تنغيصاً وتكديراً وجعل الله مسراتها إلى تنغيص، ومهما سُررتَ بها لا بد أن ترى يوماً تبكي فيه بمرارة من الدنيا.

لا توجد سعادة كاملة ولا سرورٌ كامل فيها وكل هذا حتى لا يركن المؤمن لها ولا يتعلق قلبه بها ويبقى السرور بالله وحده، والمحبة الكاملة لله وحده.

هذه المعاني الإيمانية تريح الإنسان وتخفف عليه همومه وضيقه ومشاكله وتُصغِّر الدنيا في نظرة.

ثم إن الأخيار من الخلق إذا طلبوا شيئاً من الدنيا وتعسّر عليهم وعجزوا عنه فإنهم يتفاءلون تفاؤلاً عجيباً.. لماذا؟ لأنهم يعلمون أن عِوض الله وحُسن الخلف لا يأتي غالباً إلا إذا تعب الإنسان.

تضيق وتضيق الأمور على العبد حتى وكأنه في عنق الزجاجة وهو ما يزال يبحث عن الحل وعن المخرج ويبذل السبب، وبعد كل هذا التعب يأتي العِوض وحُسن الخلف من الله ويوسعها الله عليه.

وعلى كل من طلب أمراً من أمور الدنيا ولم يتيسر له واُغلِق عليه فليعلم أن لله حِكماً عظيمة في خلقه

**فمن الناس من يسهل الله له الدنيا ويعطيه منها فيحمده ويشكره ويتقيه فيها، وهذا فضل الله يؤتيه من يشاء

**ومن الناس من ينكد الله عليه الدنيا ويجعل نكدها راحةً له في إيمانه وسعادةً له في طاعته واستقامته

فإذا صرف الله عنك حاجةً من حوائج الدنيا أو أمراً من أمورها فكن مطمئناً بالله ولا تسئ الظن بربك، ولا تغالب أقدار الله، واعلم أن الله قد صرف عنك من البلاء والشر ما لا تعلمه والله يعلم وأنتم لا تعلمون، والله وحده هو الذي يعلم عواقب الأمور.

- اسأل ربك دائماً أن لا يصرفك عن أمر أو يصرفه عنك إلا ويجعل ذلك الصرف خير لك في دينك ودنياك وعاجل أمرك وآجله واسأل الله الخيرة دائماً وأن يبارك لك فيما قضاه لك من أقداره.

رابعاً: التوحيد يعلمك الاستخارة.

الاستخارة كنز عظيم لمن جربه وداوم عليه. في الاستخارة أنت تتجرّد لله تجرداً كاملاً وتبرأ من حولك وقوتك وتعترف بين يدي ربك أنك لا تملك لنفسك نفعاً ولا ضراً ولا تعرف الخير من الشر فتسأل الله أن يختار لك.

إذا استخرت فامضِ في الأمر وابدأ فيه فإذا تيسرت الأمور وانفتحت الأبواب فهذه الخيرة، وإن تعكرت واُغلقت وتعثرت فالخيرة في هذا الإغلاق وما هو إلا استجابة لدعائك (**وإن كنت تعلم أن هذا الأمر شرٌ لي في ديني ودنياي وعاقبة أمري فاصرفه عني واصرفني عنه واقدر لي الخير حيثما كان ثم ارضني به**)، فارض باختيار الله لك بدون هموم ولا غموم ولا ضيق ولا حزن ولا بكاء، فاختيار الله للعبد أفضل من اختيار العبد لنفسه.

أذا استخرت ومضت الأمور وتم الموضوع الذي استخرت فيه ثم رأيت مصائباً وأحزاناً ومشاكلاً تحيط بك من كل جهة فلا يسوء ظنك بربك.

واستمع لهذه الكلمة التي قالها ابن الجوزي رحمه الله: "فإن آلمك كربُ اختياره فاعلم أنك بين يديه".

الله هو الذي أجرى عليك هذا القدر بكل ما فيه من الألم والبكاء والمشقة، هذا الذي نزل بك هو وفق حكمة الله ومشيئته وبإذنه وبأمره وما هو إلا لمصلحتك ومنفعتك، لأن الله يعلم بما يُصلح عباده وبما ينفعهم، فهو الرب الذي يربي عباده ويكمل نقصهم، ويسد ثغراتهم، وينقلهم من النقص إلى الكمال، وهذه تربية الله التي لا تعدلها تربية أحد من البشر.

فارض واعلم أن هذا البلاء وهذا القدر يناسبك تماماً فالله لا يكلف نفساً إلا وسعها، واعلم أيضاً أنك في دائرة تكفير وتنقية وتصفية ورفعة في الدرجات. فإن البلاء لا يزال بالمؤمن والمؤمنة في نفسه وولده وماله حتى يلقى الله وما عليه من خطيئة.

واستمع لهذه العبارة بقلبك لعلها أن تفرج عنك ضيقاً قد خيّم عليك وحزناً قد هجم عليك، وهي من العلامة المحدث فضيلة الشيخ أبا إسحاق الحويني حفظه الله ومتعنا بعلمه: "**كل مصيبة نزلت بك فجلّلتها بحسن الظن انقلبت رضاً وبركة عليك**".

هذه النقاط الأربع كفيلةٌ أن توضح لك العلاقة بين التوحيد وانشراح الصدر.. فكلما زاد توحيدك وإيمانك وقربك من ربك زاد انشراح صدرك.

وكلما زاد توحيدك انفتح لك كل مُغلَقٍ وتيسر لك كل عسير وقرُب منك كل بعيد.. فالله الله في توحيدك[1].

* السبب الثاني **العلم، فإنه يشرح الصدر ويوسِّعه حتى يكون أوسع من الدنيا، والجهل يُورثه الضيق والحصر والحبس، فكلما اتسع علم العبد انشرح صدره.**

تعلُّم العلم وتعليمه وحضور مجالسه من الأبواب العجيبة في شرح الصدر، ولا عجب في ذلك فهي من رياض الجنة كما قال ﷺ لصحابته: "**إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا، قالوا: وما رياض الجنة؟ قال: حِلَق الذكر**"[2].

وعن أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "**إن لله سيارةً من الملائكة يطلبون حِلَق الذكر....**"[3].

فالملائكة تطلب هذه المجالس وتتنزل فيها وتحيط أهلها، وفي هذه الإحاطة خيرٌ كثير وبركةٌ كبيرة، فإن الملائكة تقترب من العبد الصالح وتجلس إليه وتدعو له وتستغفر له وتتنزل عليه بالرحمة، مما يجعل الإنسان يرتقي بروحه فتسمو روحه وتعلو فهي في صحبة الملأ الأعلى، فمن كان هذا وصفه سيكون ولا بد من أوسع الناس صدراً.

– أيضاً مما يتفضل الله به على أهل العلم ومن جلس في مجالس العلم بأن تتنزل عليهم السكينة وإذا نزلت السكينة هدأ القلب وأمِن وزال قلقه وتبدّدت وحشته وذهب خوفه.

– كذلك تغشاهم الرحمة، ومن رحمهُ الله فلن يجعله محبوساً محصوراً داخل نفسه وكأنه يتنفس من ثقب إبرة، بل سيُفسح له وأول ما يكون هذا الفسح وهذا البسط في قلبه وصدره.

– أكثر من يتعرض لمحو سيئاته هو طالب العلم لأن تعلم العلم حسنة وتعليمه حسنة، والله عز وجل يقول: ﴿**إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ**﴾ [هود:١١٤].

ثم إن ذنوبه تزول عنه ليس باستغفاره فقط وإنما باستغفار عدداً لا حصر له من المخلوقات "إن الله وملائكته وأهل السموات وأهل الأرض حتى النملة في جحرها وحتى الحوت ليصلون على معلم الناس الخير".

---

[1] من باب الأمانة العلمية هذا المحور [التوحيد] بكل نقاطه استفدت فيه من دروس فضيلة الشيخ محمد المختار الشنقيطي حفظه الله ونفعنا بعلمه

[2] رواه أحمد والترمذي والبيهقي وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة

[3] مجمع الزوائد (٧٧/١٠)

إذاً بالعلم تعلماً وتعليماً ومدارسةً تخف الذنوب وتزول، والمعاصي والذنوب من أكثر ما يضيق الصدر ويقبضه، فما هي إلا إغلاقٌ وإطباقٌ على أصحابها، والقلب كما قال أحد السلف "كالكف المبسوط فكلما أذنب العبد ذنباً يضم إصبعه ثم يذنب آخر فيضم إصبعه ثم يذنب حتى يضمها كلها ثم يختم عليه".

ثِق أن كل معصية تُؤثر على قلبك، وكل معصية ترتقي منها ظلمة لقلبك، وتنكتُ نكتة سوداء في قلبك، فتزيد مساحة السواد وتتكون الأغلفة التي تحجب عن القلب كمال الإنشراح، وكمال الإنفساح، وكمال السعادة والطمأنينة ويحل بالقلب ضيقاً وحرجاً ووحشةً لِما تكوّن عليه من طبقات.

واختم بكلام لإبن القيم يصف فيه أثر المعاصي على القلب فيقول: "من آثار المعاصي وحشة يجدها العاصي في قلبه بينه وبين الله، ولو اجتمعت له لذات الدنيا بأسرها لم تف بتلك الوحشة... وليس على القلب أمرّ من وحشة الذنب على الذنب والله المستعان".

فكلما تخفف الإنسان من ذنوبه اتسع صدره وانفسح وانشرح، والعلم وتعلّمه وتعليمه من أعظم الأسباب التي تزيل الذنوب وتشرح الصدر.

* السبب الثالث: **الإنابة إلى الله سبحانه وتعالى، ومحبته بكل القلب، والإقبالُ عليه، والتنعُّم بعبادته، فلا شيء أشرح لصدر العبد من ذلك... ومن أعظم أسباب ضيق الصدر الإعراض عن الله تعالى، وتعلُّق القلب بغيره، والغفلةُ عن ذكره، ومحبةُ سواه، فإن من أحبَّ شيئاً غير الله عُذِّب به وسُجِن قلبه في محبة ذلك الغير.**

هذا القلب الذي لا يتجاوز حجمه قبضة اليد، والذي لم يذكر في القرآن عضو مثلما ذُكِر، هو وديعةٌ استودعنا الله إياها، خلقه الله من أجل العبودية، من أجل أن يكون لله ويبقى محفوظاً لله، لا يخضع ولا يذل ولا يتعلّق إلا بالله.

فلِواحدٍ كُن واحداً في واحدٍ أعني سبيلَ الحقِ والايمانِ

هذا هو مقتضى العبودية الذي خُلِقت من أجلها، فأنت عبدٌ من رأسك إلى قدميك، بعقلك، بقلبك، بجوارحك، أنت عبدٌ لله، قال تعالى ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات:٥٦].

وهذه العبودية تتضمن معنى الذُل ومعنى الحب، بأن يكون الله أحبّ إليك من كل شيء، وأن يكون الله أعظم عندك من كل شيء.

فإذا خالفت الطريق وخالفت مقتضى العبودية وبعثرت قلبك هنا وهناك وسلّمته لغير الله وعلّقته بغير الله فلا بد أن تأتيك العقوبة، قال تعالى ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [التوبة:٢٤].

وجاء في الحديث أن من تعلّق شيئاً وُكِل إليه، أي أن الله سيكلك إلى الجهة التي تعلّقت بها ومنتهى الخذلان بك أن يكِلك الله إلى غيره.

ولن تجد في الدنيا أشقى ولا أتعس ولا أخيب من عبدٍ تولّى إلى غير سيده وتعلّق بغير ربه، والقاعدة معروفة بأن من سلّم قلبه لمخلوق فسوف يشقى به لأنه سيُعامل بنقيض قصده،، فهو لما تعلّق بغير الله اعتقد أنه سيرتاح ويتلذذ وينعم ولكن للأسف سيجد العكس تماماً، وهذه سنة مطَّرِدَة أن من أحبَّ شيئاً عُذِّبَ به.

ونحن لا نتكلم عن الحب الطبيعي وإنما عن التعلّق الذي يثقب القلب، فيُفرِط في الحب إفراطاً شديداً ويميل قلبه بكليته إلى ذلك المحبوب سواء كان من المخلوقين أو بأمرٍ من أمور الدنيا حتى يصل به أن يقدم هذا المحبوب على الله ويقدم رضاه على رضا الله ويؤثره على شريعة الله ودينه.

– انظر كم من أناس خسروا كثيراً من إيمانهم وتوحيدهم ودفعوا مبالغ هائلة لسحرة ومشعوذين لربط فلان وصرف فلان، وحتى لا يتزوج هذا، أو ليطلق الآخر، وكل هذا من صور التعلق المقيت المذموم التي يخسر المرء من خلالها توحيده ويدخل في دائرة الشرك ومن سحر فقد أشرك وكله من أجل مخلوق!!

– كم من أناس تحولت حياتهم إلى معيشة ضنكاً، معيشة ضيقة حرجة لا تطاق، ليس فيها إلا دموع وبكاء وهم وغم وكآبة وسواد، لماذا؟ لأنهم فقدوا محبوبهم فاكتووا بناره، ومن المسلَّم به أنه كلما ارتفع الإنسان بمتعلقات الدنيا اكتوى بنارها.

– كم من أناس ضيعوا صلواتهم ومساجدهم وقرآنهم ولم يبق لهم من الدين إلا الإسم الذي كُتِب في بطاقاتهم، ثم إذا نظرت إليهم فإذا هم قد انغمسوا وانشغلوا بالجري اللاهث وراء الصفقات والثروات والأموال والتجارات والسفر من بلد إلى بلد، حبسوا قلوبهم على الدنيا، وعلّقوها بالدنيا، وتزاحموا على

الدنيا، يرضون من أجلها، ويسخطون من أجلها، فصارت قلوبهم أسيرة لها، وقد أخبر رسول الله ﷺ بتعاستهم "**تعِس عبد الدرهم، تعِس عبد الدينار، تعِس عبد القطيفة، تعِس عبد الخميصة...**"[1].

– وكم من أناس جمعوا على أنفسهم سلسلة من الكبائر، من نظرٍ إلى حرام وسماع للحرام، وسهرٍ على الحرام من أجل ماذا؟ من أجل أن يُرضيَ عنه مخلوقاً صار قلبه مسترِقّاً له.

هذه صور من صور التعلّق بغير الله والتي يبقى القلب أسيراً ومملوكاً لها. لذلك قال شيخ الإسلام رحمه الله "إن أسر القلب أعظم من أسر البدن واستعباد القلب أعظم من استعباد البدن، فالحرية حرية القلب والعبودية عبودية القلب"[2]، وسيأتي يوم على الإنسان يقول فيه ﴿ **يَا وَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا**﴾ [الفرقان:٢٨].

ياالله! ما أعظمها من حسرة وما أعظمها من ندامة وما أشده من أسف، ﴿**وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا**﴾ [الفرقان:٢٧]، يأكل يديه حتى تذهبا إلى المرفقين ثم تنبتان فلا يزال هكذا كلما نبتت يداه أكلها ندامةً على ما فات.. تحول الحب إلى عذاب، وتحول الحب إلى عداوة وندامةٍ وبُغض.

- وقد سُئل الشيخ العلامة محمد المختار الشنقيطي حفظه الله ونفعنا بعلمه عن رجل يحب زوجته حباً شديداً لدرجة أنه يقول في دعائه "اللهم لا تصرفني إلى أحدٍ غيرها"!!

فرد عليه الشيخ بأن المبالغة في حب الزوجة والمبالغة في حب الزوج فتنة، وينبغي للإنسان أن يتأدب مع الله فإن من لم يتأدب مع الله ربما يقول كلمات يندم عليها ويرى أثرها في نفسه إن لم يتُب منها، ثم أخبره بقصة رجل يعرفه أحبّ زوجته حباً شديداً وكانت لا تنجب، نصحه الناس بأن يتزوج لعله يُرزَق الذرية، ولكن من حبه لزوجته كان يقول "ذرية من غير هذه لا أريد"!

امتدّ به العمر حتى بلغ الستين من عمره فبدأ يحنّ للذرية ويتمنى ويشتاق للذرية ويتقطع قلبه عليها، دبّ خلاف بينه وبين وزوجته فطلقها، ثم أصبح في آخر عمره يلهث وراء النساء يبحث عن الذرية يتزوج هذه ويطلقها، ويتزوج الأخرى ويطلقها وهكذا حتى مات رحمه الله[3].

---

[1] رواه البخاري (٦٤٣٥)
[2] كتاب العبودية لشيخ الإسلام
[3] مقطع منقول (بتصرف) من تسجيل صوتي لأحد دروس الشيخ في الإنترنت

والشاهد من القصة:

- على الإنسان أن يتأدب مع الله وأن يحذر لسانه فإن الإنسان يُهلكه لسانه. وقد قالها رسول الله ﷺ لمعاذ رضي الله عنه: "**ثكلتك أمك يا معاذ وهل يُكب الناس في النارِ إلا حصائد ألسنتهم**".
- وأن لا يُضيِّق على نفسه ما وسّعه الله عليه.
- و لا يبالغ ولا يفرط في حبه لمخلوق حتى لا يُعذَّب به.

وعلى هذا من أراد السعادة وانشراح الصدر وراحة القلب ونعيمه فلا يعلّق قلبه إلا بالله، وليصفِّي قلبه من كل المتعلقات، فالقلب لا يصلح ولا يفلح ولا ينعم ولا يسرّ ولا يطيب ولا يطمئن إلا بعبادة ربه وحده، وكلما ازداد حباً لله ازداد له عبوديةً ومعرفةً وحريةً عما سواه وتحرر من رِق الخلق ومن رِق الدنيا..

* السبب الرابع: **دوام ذكر الله على كل حال وفي كل موطن، فللذكر تأثيرٌ عجيب في انشراح الصدر ونعيم القلب.**

قال تعالى ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد:٢٨]، وقال ﷺ: "**مثل الذي يذكر ربه والذي لا يذكر ربه مثل الحي والميت**"[١].

فالذكر فيه حياة للقلب وفيه سرٌ عجيب في القوة والفتح والشرح، يزيل الهم والغم، ويُفرح القلب، ويطرد الشيطان ويطرد الكسل. ومن علامة توفيق الله للعبد أن يفتح عليه بالذكر فيجعله عبداً ذكّاراً شكّاراً.

- وعلى رأس الذكر الذي يشرح الله به الصدر هو (القرآن). وقد كان رسول الله يقول في دعائه "**اللهم اجعل القرآن ربيع قلبي**"، والربيع ما هو؟ خضرة وماء ونبات وجمال وزهور وأُنس وسعة، وهذه المعاني كلها إذا جمعتها تعطيك معنى الانفساح والانشراح والبهجة والسعادة.
- وقد ضرب الله لنا في القرآن مثلاً بديعاً في كتابه يبين أثر القرآن على القلب. قال تعالى: ﴿**اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ ۖ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ نُورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ ۗ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ**﴾ [النور:٣٥].

---

[١] رواه البخاري

المشكاة هي الكُوة أو الفجوة أو الفتحة التي تكون في الحائط. هذه المشكاة فيها مصباح وهو السراج أو الفتيل، هذا السراج محفوظ بداخل زجاجة، هذه الزجاجة لها وصف خاص تميزت به أنها مثل اللؤلؤة البيضاء المشرقة المضيئة الصافية، ومن شدة صفائها ولمعانها كأنها كوكبٌ دريّ.

وقود هذا المصباح (زيته) هو من شجرة مباركة وهي شجرة الزيتون، هذه الشجرة في وسط البستان تصيبها الشمس في كل وقت لذلك زيتها في غاية الجودة بل يكاد يشتعل ولو تمسسه نار.

يا ترى كيف ستكون إضاءة هذا المصباح الذي اجتمعت فيه كل هذه الأنوار؟؟ نور الزجاجة الصافي، ونور الزيت الصافي ونور السراج الأصلي، لا بد أن نوره سيكون مشعّاً قوياً مكتملاً، ولن يبقى في هذه الكُوة شيء مظلم.

هكذا قلب المؤمن فهو أصلاً مضيء إضاءة ذاتية وهي إضاءة الفطرة التي فطر الله الناس عليها، فإذا أضيف إلى هذا النور نور القرآن، نور الوحي اكتملت الأنوار وأصبح (نورٌ على نور) وزاد إشراق القلب وضياؤه، واستنارة القلب هي الغاية التي يحصّل بها المرء سعادة الدنيا والآخرة، ﴿**وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا**﴾ [الشورى:٥٢].

ومن انقطع أو تأخر أو زهد في هذا النور فهو مجروح قد أُصيب في إيمانه وفي قلبه، فالزهد في القرآن علامة حرمان، وما حُرم عبدٌ من طاعة إلا لأن شيئاً من الإيمان قد انطفأ في قلبه ونعوذ بالله أن تُطفأ أنوار قلوبنا.

* السبب الخامس: **الإحسان إلى الخلق ونفعهم بما يمكنه من المال والجاه والنفع.**

الكريم المحسن من أشرح الناس صدراً وأنعمهم قلباً، والبخيل هو من أضيق الناس صدراً وأنكدهم عيشاً.

وقد ضرب رسول الله ﷺ للبخيل والمتصدق "**كمثَل رجُلَين عليهما جُنّتان من حديد، كلّما همّ المُتصدّقُ بصدقةٍ، اتّسعت عليه وانبسطتْ، حتى يجرّ ثيابهُ ويعفيَ أثرهُ، وكلّما همّ البخيلُ بالصدقة لَزَمّتْ كُلُّ حلْقةٍ مكانها، ولم تتسِع عليه**"[1].

شبّه النبي ﷺ المتصدق والبخيل كمثل رجلين كل واحد منهما عليه درع، فالمتصدق كلما أخرج وأحسن وبذل ونفع اتّسعت هذه الدرع حتى غطت جسده، والبخيل كلما أمسك وشحّ وبخِل ضاقت هذه الدرع وانحسرت حتى التصقت بعنقه وخنقته.

[1] أخرجه البخاري ومسلم

وهذا المعنى تجده في كتاب الله في سورة الليل التي أسماها ابن عباس رضي الله عنه بسورة (البخل والسماحة).

يقول الله عز وجل: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ﴾ [الليل:٥-٧].

الذي يعطي أياً ما كان هذا العطاء، عطاء مال، أو عطاء نفس أي من نفعه ومن علمه ومن جهده ومن مشورته ونصحه ويعطي وهو مخلصٌ مصدقٌ بما عند الله، مُنتظر ثواب الله فإنه سيجد من الله تيسيراً فهناك علاقة بين العطاء والتيسير، فكما يسر هو على عباد الله ونفعهم وأحسن إليهم فإن الله سييسره لليسرى، وأول ما يكون هذا التيسير في نفسه وقلبه، بل وتيسيراً في كل باب يطرقه.

إذا كان الله عز وجل جعل جزاء من أفسح في المكان لأخيه أن يجد توسعة الرزق في الدنيا وتوسعة المنازل في الجنة فكيف بمن فرّج عن مسلم كربة أو دفع عنه مسغبة أو قضى له حاجة؟؟ أي فضل سيناله ويظفر به من ربه؟؟

وعلى العكس تماماً فذاك البخيل لن يجد إلا تعسيراً وأول ما يكون هذا التعسير في قلبه ونفسه، ﴿وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ﴿٩﴾ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ﴾ [الليل:٨-١٠].

* السبب السادس: **الشجاعة فإن الشجاع منشرح الصدر واسع البطان متسع القلب، والجبان أضيقُ الناسِ صدراً وأحصرهم قلباً، لا فرحة له ولا سرور، ولا لذة له ولا نعيم.**

لماذا يُعدّ الشجاع من أشرح الناس صدراً؟ لأنه قوي القلب، حرّر نفسه من الخوف والتردد والوهن وكثرة القيود، لا تجده مهزوماً ولا مُكَبلاً ولا ضعيفاً ولا سلبياً ولا متذبذباً، بل هو يتحرك وكأنه أمةٌ لوحده.

بينما الجبان لا تجده إلا مخلوعاً خائفاً يفر من كل شيء، ويتردد في كل شيء، أشقى نفسه وحاصرها بكثرة الخوف، لا يستطيع أن يقتحم أو يُقدم أو يواجه فلا جرأة ولا شجاعة عنده، وذلك لضَعف قلبه وضَعف توكله وثقته بربه.

لذلك كان رسول الله ﷺ يستعيذ بالله من الجبن[1] ويعتبره من شر الصفات التي يُبتلى بها الإنسان فتضيق عليه حياته فقال: "**شر ما في رجل شحٌ هالع وجُبنٌ خالع**"[2].

وكان ينفيه عن نفسه عليه الصلاة والسلام فيقول: "**....ثم لا تجدوني بخيلاً ولا كذوباً ولا جباناً** "[1].

---

[1] صحيح البخاري- الحديث (٢٨٢٢)
[2] صحيح سنن أبي داود (٢١٩٢)

فإن رأى المؤمن في نفسه جبناً أو خوراً فعليه أن لا يستسلم ولا يرض بهذا الخُلق الدنيء فلا يرضى بالدون إلا دنيء، ويلزمه كثرة الإستعاذة بالله والإلحاح على الله أن يرفعه عنه، ثم يقوي قلبه بالمِران والتدريب وخوض المواقف واقتحام الصِعاب حتى يقوى وليتذكر دائماً أن المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف.

* السبب السابع: **إخراج دغل القلب.**

بعض الناس يعيش في هذه الدنيا وكأن قلبه كهفٌ مظلم تعوي فيه الذئاب. قلوب حاقدة لا تعرف النوم ولا الراحة، قلوب حاسدة والحسد قد تسلّط على الناس ولم يسلم منه إلا القليل، قلوب متناحرة كارهة، مملؤة وكأنها عبوات جاهزة للإنفجار،، كل هذه أورام تُضيق الصدر وتُكدِّر القلب ويلقى الإنسان ألمها وحرها وأثرها في الدنيا والآخرة.

- ولو تأملت حياة الصحابة رضوان الله عليهم لوجدت قلوبهم من أعجب القلوب وأنقاها وأصفاها.

ها هم الأنصار يأتون إلى رسول الله ﷺ بعد أن آخى بينهم وبين المهاجرين، وحين شعروا أن إخوانهم الآن في غربةٍ وفقرٍ وانقطاع فقالوا: "يا رسول الله اقسم بيننا وبين إخواننا المهاجرين النخل"، مزارعنا- بساتيننا- ثمارنا اقسمها بيننا وبينهم يا رسول الله! ولا يتصور أحد أنه عرض سهل ميسر أن أعطيكَ نصف ما أملك من مال وعقار بنفسٍ راضية ومن دون مقابل، فهذا يحتاج إلى درجة عالية جداً جداً من ترك الأثرة والأنانية وإماتة حظوظ النفس!! لكنهم صحابة رسول الله.

- رفض رسول الله ﷺ عرضهم فقال الأنصار: إذاً تكفوننا المؤونة ونقتسم الثمر، فلما جاء وقت الحصاد واقتسام الثمر، كان صنيع الأنصار رضوان الله عليهم عجباً، فكانوا إذا وزنوا لأنفسهم وضعوا مع الثمر سعف النخل حتى إذا وزنوا لإخوانهم من المهاجرين وضعوا بدلاً منه تمراً فيزيد نصيب المهاجرين من التمر!! يبخسون حق أنفسهم، ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة.

إنها سلامة الصدر، وأخوة الإيمان التي وزنها الأنصار بقول النبي ﷺ: "**والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه**".

إنه صفاء القلب وذوبان الشخصنة بينهم وبين إخوانهم حتى يقول أحدهم (ما سلطان الدنيا نريد، ولا للدنيا نعمل، إنما نحن إخوة).

من هنا تنزّلت البركات والرحمات عليهم، ومن هنا جاء الفسح والشرح لقلوبهم وصدورهم، ومن هنا جاءت رقة قلوبهم فكانوا قوماً بكائين، والقلب إذا عريَ رَقّ.

---

[1] صحيح البخاري (٢٨٢١)

إذا تخلّص القلب من أمراضه وأورامه وعِلله وأسقامه فإنه سيرِق ويخبت ويلين وينشرح.

* السبب الثامن: **ترك فضول النظر والكلام والاستماع والمخالطة والأكل والنوم فإن هذه الفضول تستحيلُ آلاماً وغموماً وهموماً في القلب تحصره وتحبسه وتضيّقه ويتعذّب بها.**

هذه الأمور الخمسة أو الستة تسمى بمفسدات القلوب لأنه لا يُطفئ ولا يطمس النور في القلب مثل الإسراف والإغراق في هذه المباحات والخروج عن الحد المألوف. وهذا صحيح فكلها منافذ تصب في القلب وتؤثر عليه وأثرها ظاهرٌ جداً.

- من جهة أنها تضعفه، تصيبه بالفتور والثِقل والتراخي والكسل وهذا من طبيعة النفس أنها إذا شبعت ورويت وامتلأت تثبطت إلى الأرض وقلّ حماسها، وتعرقل سيرها.
- ومن جهة أنها تُفقد الإنسان لذة العبادة، فقد يقرأ القرآن وينتهي وهو لا يشعر بشيء!! وقد يفتتح صلاته ويخرج منها وهو لا يشعر بشيء!! بل إنه منذ دخل لصلاته هاجمته الوساوس والخطرات وتشتت قلبه هنا وهناك، ومن أكثر ما ضيَّع علينا صلاتنا هو ما ابتُلينا به من كثرة الخلطة والقيل والقال وتلك المجالس الفارغة التي نرى أثرها مباشرة في صلاتنا.

ولو أننا حفظنا الله في ألسنتنا وأسماعنا ومجالسنا لحُفِظنا في صلاتنا، والقاعدة معروفة **(إحفظ اللهَ يحفظكَ)**، الله يحفظ من يحفظونه، إذا حفظت الله حفظاً بالغاً حفظك الله حفظاً بالغاً، وإذا حفظته حفظاً قليلاً نقص حفظه لك[1].

- ويظهر أثر الفضول أيضاً من جهة تضييع الوقت والحسنات، فمن علامة رضى الله عن العبد أن يوفقه لحفظ وقته ومن علامة سخط الله عليه أن "يناكدُه في وقته" فيتفلّت منه ويضيع منه وتُنزع بركته. وإهدار الوقت من المقت لأنه إذا ضاع وقتك ضاع حظك من الله، وقلّت منزلتك ودرجتك عند الله.
- ومن كثُر كلامه كثُرت زلاته وسقطاته، وأكثر ما يُهلك الإنسان لسانه، فكم من كلمة اسودّ بها القلب، وكم من كلمة كانت مفتاحاً للشر، وكم من كلمة كانت سبباً في تنغيص وتكدير حياة إنسان،

اللسان شأنه خطير وكبير وهو موطن البلاء لذلك حذر منه رسول الله ﷺ وبيّن أن أكثر خطايا ابن آدم في لسانه، وجاءت الوصايا النبوية كثيرة في كف اللسان: كف عليك هذا، أمسك عليك لسانك، من صمت نجا، من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت، طوبى لمن أمسك الفضل من لسانه.

[1] راجع اسم الله الحفيظ في ملزمة سورة الكهف من إصدار دارنا

وكل هذه الوصايا لتعلم خطر هذا اللسان وفضول الكلام والقيل والقال الذي هو من أكثر وأسرع ما يُفسد القلب ويُطفئ نوره ونشاطه وحماسه وكلما كففت لسانك نجوت وكنت أكثر قرباً إلى ربك.

نسأل الله أن يعيننا على حفظ ألسنتنا وأوقاتنا، وأن يبصرنا بعيوبنا ويعيننا على التداوي والخلاص منها

وينقلنا من خير إلى خير، ومن صلاح إلى إصلاح، ومن حسن إلى أحسن... هو وليّ ذلك والقادر عليه

هذا ما يسر الله لي جمعه في التعليق على هذه الرسالة وأسال الله الإخلاص والقبول وأن يجعله عملاً صالحاً مباركاً فيه.

تم الإنتهاء من كتابته

الأربعاء

١٤٣٣/١١/٢٤ هـ

الفـــهرس

العنوان	الصفحة
المقدمة	أ
نعمة شرح الصدر	٣
علامات شرح الصدر	٥
أسباب انشراح الصدر	٥
السبب الأول: التوحيد	٥
السبب الثاني: العلم	٩
السبب الثالث: الإنابة إلى الله تعالى	١٠
السبب الرابع: دوام ذكر الله على كل حال وفي كل موطن	١٣
السبب الخامس: الإحسان إلى الخلق	١٤
السبب السادس: الشجاعة	١٥
السبب السابع: إخراج دغل القلب	١٦
السبب الثامن: ترك فضول النظر والكلام والاستماع والمخالطة والأكل والنوم	١٧
الفهـــــــرس	١٩